



بات واضحًا أن مسار الثورة السورية في المرحلة السابقة قادنا للأسف الشديد إلى عملية واسعة من "تطييف الصراع" في المنطقة، وهذا أمر أحسب أنه من أخطر الأزمات التي عصفت وتعصف بنا في العقود الأخيرة. هذه الأزمة باتت تدار من قبل "مكائن" تعمل على تفاقمها وتعسّير المعالجة ورفع الكلفة وبيث اليأس في النفوس والادعاء بأنها "حتمية لا مفر منها".

#### ومن أبرزها: ثلث "مكائن" لتطييف الصراع:

- 1- الغرب المتصلين، من الواضح الجلي أن ثمة فصيلاً كبيراً في المعسكر الغربي يتبنى تطييف الصراع، بما يهيء ظروفاً مواتية لتفعيل خارطة الشرق الأوسط الجديد أو لتحقيق هدف قريب من ذلك. والمدهش أن الكثير من الساسة الغربيين يزعمون بأن الصراع الآن بات واضحًا بين "السنة" و"الشيعة"، وقد كثر ذلك في تصريحاتهم المعلنة، فضلاً عن تحركاتهم السياسية وبرامجهم المستور، التي يُراد لها تدعيم الكيان الصهيوني بشكل مباشر أو غير مباشر.
- 2- التشيع الصوفي الشعوي، هذا اللون من التشيع مسكن باستدعاء التناحر التاريخي ضد "النواصب" (السنة)، وهو يكرس الشعور بالظلمومة، ويتنفس في تفجير طاقات التنكيل والانتقام والتصفية لآخر "الناصبي"، وبالذات الجنس العربي، حيث إنه تشيع قومي عنصري.

ومما يؤسف له أن الساحة الشيعية في المرحلة الأخيرة تسيدها هذا التشيع الصوفي الشعوي وأمسى الأمر الناهي فيها عبر "ملالي إيران" وأتباعهم في العراق ولبنان وبعض دول الخليج العربي، وما تزعم "حزب الله" بجانب حركات أخرى ذات نزعات تشيع صوفي شعوي إلا دليل ساطع على صحة هذا القول (سترد شواهد على ذلك لاحقاً).

- 3- التسنن المتشدد الإقصائي، هنالك فصيل سني متشدد ضد "الروافض" (الشيعة)، وهو مهووس بإقصاء الشيعة وتصفيتهم، ويستمد هذا الفصيل مشروعية التكارة والتناحر مع "الروافض" من الأطروحات الدينية السننية المتطرفة، التي تأبى الدخول في أي عملية للتحصال فضلاً عن التعايش والاندماج الاجتماعي مع أي فصيل شيعي، حتى لو كان معتدلاً، بزعم

أنه لا يوجد معتدلون بين أوساط الشيعة.

وهو زعم باطل بلا شك. ومحزن أيضاً أن الساحة السنوية غالب عليها في هذه الفترة هذا الفصيل المتشدد بمختلف تجلياته.

#### \* التطيف يعني التدمير الشامل:

تكمّن خطورة "أزمة تطيف الصراع" في جوانب عديدة تنبثق من حقيقة أن توسيع نطاق الاحتراط الطائفي مرشح لأن يُوجه لتحقّيق بعض الأهداف التدميرية للعالم العربي، والتي يمكن وضعها في ثلاثة قوالب تدميرية، وهي:

1- التدمير السيادي، أضحت تدخل الدول الأجنبية رافداً كبيراً في نهر تقسيم الدول العربية وتفتيتها وفق أسس طائفية، وهو ما يعيد التذكير بمشروع الشرق الأوسط الجديد، الذي يطرح خارطة جديدة لدول المنطقة اعتماداً على تلك الأسس القبيحة الإنسانية.

2- التدمير البنيوي، الاحتراط الطائفي المدعوم بأسلحة المعسكر الأميركي الأوروبي مقابل المعسكر الروسي الصيني محتمل لأن يقود إلى تدمير بنيوي شامل في المنطقة، مما يُبني بقوّة الشعوب المطحونة لعقود متّصلة يُهدم في أشهر معدودة.

وقد تنشب حروب أهلية تأكل أخضر التنمية ويباس النهضة. وما يحدث حالياً في لبنان والعراق -على سبيل المثال- مجرد شواهد أو مقدمات أولية على صحة ذلك.

3- التدمير المعنوي، التشاون الفكري والتعارك العسكري سيلغمان العقل الجمعي بقنابل الكراهية والتحاقد وسيلوتان القلوب بألوان البغض والتناحر.

وفي هذا نسف لعقود طويلة من التسامح والتعايش بين مختلف الطوائف في منطقتنا العربية. والنتيجة المتوقعة لمثل هذا التدمير الشامل أننا سنكون إزاء دول مفتنة متّاحرة، تعمها الفوضى غير الخالقة، مقابل دولة قوية متماسكة للكيان الصهيوني، مما يجعلها مرشحة لأن تلعب دوراً قيادياً في المنطقة الجديدة مع "الدول الفتايات" بدعم المعسكر الغربي المتصهين.

#### \* ما البديل عن تطيف الصراع؟

لا بدّيل سوى التعاطي السياسي الصرف بنزعة مدنية حديثة، فالتحرك لدعم المظلوم ومجابهة الظالم إنما يكون على أساس تحقيق العدالة والكرامة والحرية للمضطهدين ومحاربة الطغاة، أيًّا كانت عقيدتهم ومذهبهم، فلا الدين ولا المذهب يعنينا في شيء حينما نروم بموجب قيمنا الإسلامية العظيمة تحقيق العدالة والكرامة والحرية لكافة المضطهدين في الأرض.

أعلم أن مثل هذا الطرح قد يغضّب البعض، ولكنني أطالبهم بالهدوء والتأني في القراءة والتحليل والتأمل بمقدّمات المسألة ونتائجها ومتّلئتها.

فمثلاً، كيف يقال إنه صراع سني شيعي، ونسبة كبيرة من جيش الأسد هم من أبناء السنة؟ فالسنة يقتلون بعضهم بعضاً في سوريا (طبعاً بجانب مشاركة آخرين من غير السنة)، كما إن فصائل شيعية عراقية متطرفة تصفي بعض أبناء الشيعة وخصوصاً الشيعة العروبيين، ومثل ذلك تماماً في لبنان، فضلاً عن احتقار وتصفية بعض أبناء الشيعة العرب في بلاد فارس من لدن الشيعة الصفوين وملالي قم.

والشواهد على ذلك كثيرة، ونستنتج منها أن المسألة يجب أن تدار وفق المنظور المدني السياسي، بعيداً عن الأطر الطائفية والأيديولوجية.

ومما نلاحظه في المشهد اليوم، أن كل طرف يدعي أن الطرف الآخر هو الذي دفع بالأمور لأن تكون طائفية. وأنا هنا أؤكد على مسألة مهمة، وهي أن الطائفية لا تتحقق فعلياً إلا بتوافق الطرفين على التوقيع على "عقد تبادل الكره الطائفي" وما يستتبعه من أعمال التنافر والتناحر والتعارك والتصفية.

أما إن كان طرف واحد فقط هو الذي يؤجج بعد الطائفي في حين أن الطرف الآخر ينأى بنفسه عن الولوغ في هذا المستنقع، فإنه لا يمكن القول بأن ثمة "طائفية حقيقة" في هذه الحالة.

فالطرف المتعقل وإن كان يواجه الطرف المتطرف بكل قوة وجسارة إلا أنه يبني جسوراً للتواصل مع كافة الأطراف المعتدلة، وفي النهاية فإنه لا يكسب معركته مع التطرف فحسب، بل مع التسامح أيضاً، وهنا يكمن الفرق الكبير، الذي آمل أن يكون واضحاً للجميع.

### \* من يكون ابن جدعان هذا الصراع؟

نظراً لما خلفه تدخل "حزب الله" في سوريا من ردة فعل عنيفة في الفضاء السنّي في العالم العربي والإسلامي، فإنني أشير بكل وضوح إلى مسألة مهمة تتعلق بأن أعداداً متزايدة من السنة بدؤوا يشعرون أو حتى يؤمنون بأنه لا فصائل معتدلة في الساحة الشيعية.

ومن ثم فقد يقولون لنا: وكيف تريدنا أن نقيم حلف فضول مع هذه الفصائل المتطرفة؟ وهذه نظرة خاطئة تماماً، فثمة فصائل شيعية كثيرة، تتسم بالاعتدال والتجدد، كما أنها عروبية تقاوم المد الصفووي الشعبي بكل ما تملكه من قوة وعتاد.

وقد أبانت الأيام الفارطة عن بعض تلك الفصائل الشيعية المعتدلة، حيث وقفت بكل جرأة وصدق ضد تحركات "الصفويين" كـ"حزب الله" ومن لف لفهم، ويقف على تلك الفصائل قيادات شيعية عروبية تؤمن بالتعايش والاندماج الاجتماعي كما أنها تؤمن بالنقد والإصلاح والنهضة وتجاوز التاريخ نحو المستقبل.

ومن هؤلاء -وهم كثـرـ العـلـامـةـ الـلـبـانـيـ السـيـدـ عـلـيـ الـأـمـيـنـ الـذـيـ وـصـفـ تـدـخـلـ "ـحـزـبـ الـلـهـ"ـ فـيـ سـوـرـيـاـ بـأـنـهـ "ـاـنـتـحـارـيـ تـدـمـيرـيـ"ـ،ـ ومـثـلـهـ الـعـلـامـتـانـ هـانـيـ فـحـصـ وـمـحـمـدـ حـسـنـ الـأـمـيـنـ الـلـذـانـ نـدـدـاـ بـهـذـاـ حـزـبـ الصـفـوـيـ وـأـيـداـ الـثـوـرـةـ السـوـرـيـةـ وـأـضـافـاـ:ـ إـنـ هـذـاـ المـوـقـفـ يـأـتـيـ اـنـسـجـامـاـ مـعـ مـكـوـنـاتـنـاـ إـيمـانـيـ وـعـرـبـيـ وـإـسـلـامـيـ مـعـ خـصـوصـيـاتـنـاـ الشـيـعـيـةـ الـتـيـ لـاـ يـنـاسـبـهاـ مـجـاهـدـةـ روـحـيـةـ إـلـاسـلامـ الـوـحـدـوـيـ وـحـرـصـنـاـ عـلـىـ الدـوـرـ الشـيـعـيـ التـنـوـيـرـيـ الـعـرـبـيـ"ـ (ـبـيـانـ لـهـمـاـ نـشـرـ بـتـارـيخـ 11/8/2012ـ،ـ الـجـزـيـرـةـ نـتـ).

وهنالك بيانات أخرى مشابهة لشخصيات وفصائل شيعية عديدة في العراق والخليل ولبنان وغيرها، ولكنها للأسف لا تلقى دعماً ولا إشارةً كافيةً من جراء غلبة المد الصفووي وتسيده للمشهد الشيعي، وهذا ما يجب إيقافه.

وربما لا يعلم البعض أن هذه التيارات الشيعية العروبية المعتدلة يمارس ضدها إرهاب من قبل الصفوبيين، وهذا ما يوضح سر انكماس البعض وعدم قدرتهم على الإفصاح عن مواقفهم، ولعل قمع مظاهره حزب الانتقام اللبناني في الأيام الأخيرة شاهد على هذا الإرهاب الصوفي الوحشي.

نخلص مما سبق، أن الاعتدال في السياق الشيعي أصل متربخ وليس باستثناء طارئ، وأنه آوان دعم الفصائل الشيعية الحقيقة وأعتبرها الممثل للتشييع المعتمل التصالحي (وهم وحدهم من يسمون بالشيعة).

ما الآخرون فهم ليسوا بشيعة بل "صفويون تصفويون"، وأنه من مصلحة الجميع التكتل والتعاضد لمجابهتهم ومجابهة سائر المتطرفين من كل طائفة، أيَا كانوا، فالتطور لا يحرق نفسه بل قد تأتي نيرانه الطائشة على البقية.

ولهذا كل، فإني أشدد على ضرورة تكوين "حلف فضول سني شيعي"، وليكن ذلك بأسرع وقت ممكن، مع ضرورة اشتغال السياسي والديني والفكري على توفير مقومات إنجاح هذا الحلف واستدامته، فما أحوجنا إليه، ولتفيض صدورنا بالمحبة لكل من يؤمن بالتعايش والاندماج الاجتماعي، ولكل عقيدته ومذهبة وأفكاره.

وهذا هو الطريق الذي يؤمن لنا القوة لفتح نافذة الأمل لدولنا وشعوبنا.

وإن تقاعسنا وتركنا الترسos بأيدي المتشددين هنا وهناك، فلنجهز أنوفنا لشم حرائق واقعنا وتعفن مستقبلنا وأطفالنا.

إذن لننهض ونضع أيدينا بل قلوبنا على قلوب بعض. والسؤال الأخير: من يكون ابن جدعان هذا الصراع المخيف؟

العصر

المصادر: